ضعف الوازع الديني لدى الفرد
وأثره في ظاهرة الفساد المالي والإداري

أو
أثر الوازع الديني لدى الفرد
في الحد من ظاهرة الفساد المالي
والإداري

تقديم / د. حسان موهوبي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الوازع الديني : عمق التدين

لعل ما نسمع به في هذا الزمن من الابتعاد عن الالتزام بالدين في مجتمعنا قد أوجد مظاهر متعددة من الغش والفساد، وأشكالاً مختلفة لما يُخل بالأمن ويكدر الحياة.

لكن المجتمع المسلم ينفرد واقعه المفترض إسلاميا، بوجود أنواع من الروادع غير تلك المألوفة عند غيره من قوة قانون وعقوبات،

حيث أن لدى المسلمين دون غيرهم العديد من ضوابط السلوكيات والممارسات في أشكالها السلبية والإيجابية، منها: الرقيب الداخلي، والتغذية الروحية المستمدة من وجود الرقيب وإن غاب، والعقاب وإن تأخر الحساب. لذا فإنه من السهل جداً تحصين الفرد في هذا المجتمع المسلم إذا ما تحقق تحكيم الدين فيه على وجهه الصحيح،

الأمر الذي يقضي بأن تتجه الجهات المسئولة عن الأمة وأمنها في البلاد إلى تنمية الوازع الديني لدى الأفراد لديها حيث – وهذا مما لا ريب فيه ومما لا يسري إليه الشك - أن الوازع الديني في النفس كلما ازداد قوةً لدى الفرد ضمنت الأمة سبل الخير ودرء الفساد, هذا ما يفعله الوازع الديني في حياة المسلمين عندما يوجد، وكلما ضَعُفَ أوتراجع تراجع معه الأمن والأمان في الأمة, وتحولت العلاقات فيما بين أفرادها إلى أنانيات, و سلوكيات يبذلها كل إنسان في سبيل مصلحته الشخصية. فهذه هي الآثار التي تتجلى في الأمة كلما غاب الردع الديني فيها و فقد الوازع الديني لدى أفرادها.

وظاهرة الفساد ومشكلته التي نعيشها ونسمع عنها أو نقرؤها عبر وسائل الإعلام في بلادنا سببها من الوجهة الدينية: افتقاد النفس للكف عن الهوى المسمى بالوازع الديني والأخلاقي، لضعف روحي لدى الأفراد، و موت الضمير فيهم. ولو وُجِدَ هذا الضبط الديني للنفس والضمير لتحول الإفساد إلى إصلاح، والأنانية إلى إيثار، و الأثرة إلى تسابق في سبيل المصالح العامة دون المصالح الذاتية والفردية. ومن هنا يحتاج القائم على أعمال الناس إلى تنمية الوازع الديني لديهم، أو إلى عنصر التقوى، وإحياء الضمير المؤمن في الكيان ومراقبة الله في الأعمال .. فكل مسؤول في مجال المال أو الإدارة معرض لمنزلق الفساد بحسب مركزه ومهنته ما لم يكون الوازع الديني حاضراً في النفوس .

الوزع ، و الضمير، و المراقبة

1- الوازعية مصدر صناعي من وزع، و يُعرف الوَزْعُ بكَفُّ النفْسِ عن هَواها . وزَعَه كفَّه فاتَّزَعَ هو أَي كَفَّ, و الوازِعُ في الحربِ : المُوَكَّلُ بالصُّفُوفِ يَزَعُ من تقدَّم منهم بغير أَمره . ويقال : وزَعْتُ الجَيْشَ إِذا حَبَسْتَ أَوَّلَهم على آخرهم . وفي الحديث : أَن إِبليسِ رأَى جبريلَ , يوم بَدْرٍ يَزَعُ الملائكةَ أَي يُرتِّبُهم ويُسَوِّيهم ويَصُفُّهم للحربِ فكأَنه يَكُفُّهم عن التفَرُّقِ والانْتِشارِ . وفي التنزيل : فَهُمْ يُوزَعُونَ أَي يُحْبَسُ أَوّلُهم على آخِرهم , وقيل : يُكَفُّونَ . وفي الحديث : مَن يَزَعُ السلطانُ أَكثرُ ممن يَزَعُ القرآنُ; معناه أَنّ مَن يَكُفُّ عن ارتِكابِ العَظائِم مَخافةَ السلطانِ أَكثرُ ممن تَكُفُّه مخافةُ القرآنِ والله تعالى, فمن يكفُّه السلطانُ عن المعاصي أَكثر ممن يكفه القرآنُ بالأَمْرِ والنهيِ والإِنذار

وفي حديث الحَسَنِ لما وَلِيَ القضاءَ قال : لا بد للناس من وَزَعةٍ أَي أَعْوانٍ يَكُفُّونهم عن التعدي والشرِّ والفَسادِ, وفي رواية: من وازِعٍ أَي من سلطانٍ يَكُفُّهم ويَزَعُ بعضَهم

عن بعضهم. والوازعُ : الحابِسُ, والجمع وزَعةٌ و وُزّاعٌ وجاء في التنزيل الحكيم: "رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ". ومعنى أَوْزِعْني أَلْهِمْني وأَولِعْني به , وتأْويلُه في اللغة كُفَّني عن الأَشياء إلا عن شكر نعمتك , وكُفَّني عما يُباعِدُني عنك .

2- وأما الضمير فهو ذلك الشعور النفسي الذي يقف من المرء موقف الرقيب، ويحث على أداء الواجب، وينهى عن الإهمال والتسيب والانفلات والتقصير، ويحاسب بعد أداء العمل، مستريحاً للخير والإحسان، مستنكراً للشر والإساءة**!..**

فهو اليقظة الروحية المنبثقة عن حقيقة الإيمان وجوهره، وهذا المعنى هو ما يحلو للبعض أن يطلق عليه اسم "الضمير"، وإلى ذلك يشير النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي أمامة رضي الله عنه، إذ يقول: "سأل رجل النبي ص فقال: ما الإثم؟ فقال صلى الله عليه وسلم : "إذا حاك في نفسك - أي وقع في نفسك شك - شيء، فدعه"، قال: ما الإيمان؟ فقال صلى الله عليه وسلم : "إذا ساءتك سيِّئتك، وسرتك حسنتك، فأنت مؤمن" رواه أحمد .

ولاشك أن الضمير حين يكون مغذوا بالإيمان سوف يشع بالوازعية المدعمة بالتقوى ودرع الدين. فالضمير الحي يوقد فتيلة الإيمان في القلب فيعود العبد إلى رحاب ربه تائباً نادماً. والضمائر في البشر أصناف تحيى وتموت بحسب دنوّها من الدين أو بعدها منه.

3- وأما المراقبة فلعلها من أبرز الفضائل التي حرص الإسلام علي غرسها في نفس المسلم وسماها الإحسان والتي بينها الحديث الصحيح الذي سأل فيه جبريل الأمين رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الإسلام, ثم الإيمان, ثم الإحسان, و عبَّر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" متفق عليه**.**

وأما الأخلاقيون فقد سموها بالضمير, وهذه الفضيلة تتعمق في كيان الإنسان, كلما أحس بمسئوليته ككائن مكلف. والقرآن الكريم حين قرر أن كل إنسان قد ألزمه الله تعالي طائره في عنقه, فإنما عني بذلك فضيلة المراقبة والمحاسبة, ولقوله تعالي في نفس الآية ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا (الإسراء: الآية13 و14)

ومنه يجدر بكل فرد مسلم يوجد في مقام القائم على شؤون الناس المالية والإدارية وغيرها من المهن أن يتصرف على الدوام وفق الهدي الرباني، أي: يراقب الرب جل شأنه في كل أمرٍ من أموره، يراقبه حينما يعبده، وحينما يعمل، و حينما يبيع، أو يشتري، بل يراقبه في كل إداراته لشؤون الرعية ومصالحها، فلا يزور، ولا يخون أمانة المسؤولية، ولا يغش، ولا يختلس، ولا يسرق، ولا يطفف كيلاً أو وزناً، ولا يتعامل بالرشوة أخذاً أو عطاءً، لأنه يعلم أن ربه معه**.!** يسمعه ويراه . وقد قال أهل التقوى والصلاح: "إذا أراد العبد أن يعصي مولاه فليعصه في مكان لا يراه فيه " وهذا من المحال حيث لا يخلو مكان في الكون من إحاطة علم الله سبحان وتعالى به**.**

والمشكلة التي نحياها اليوم تتمثل في التجرؤ على تجاوز حدود الله لغياب حاسة المراقبة هذه، و نشأ عنها: موت الضمير عند بعض الناس من أهل الفساد المالي والإداري في البلاد ، فأصبح المرئ يرى في مجتمعه مظاهر الفساد والإفساد ويسمع بشتى أشكالها وأساليبها وطرقها، من الاختلاس للمال العام إلى استغلال النفوذ والمنصب، والانتهازية، وغير هذا من المنكر الأخلاقي، مما جنى ذلك على سلامة جوانب كثيرة من حياتنا في المجال الاقتصادي المالي، والاجتماعي على الخصوص**.**

المراقبة الصادقة، وضمير المؤمن

يقول تعالى: " بل الإنسان على نفسه بصيرة"، نلمح من هذه الآية الكريمة أن هناك علاقة بين المراقبة والضمير، ونستطيع القول إن المراقبة الصادقة تحيي في داخل المرء "الضمير"، أو ما يقول فيه أهل الفكر الإسلامي:" بأن البصيرة المعززة بالتقوى هي بمثابة العقل الثاني الذي يشد من أزر العقل الفطري الأول، ورقيب داخلي ووازع نفساني نزيه في مقاضاة الذات" دراز/ دستور الاخلاق 21". وعليه نرى أن للمراقبة أثرها البالغ في كبح جماح الشخص المفسد، فهي الجوهر والغاية والحصيلة من كل جوانب الدين: عقيدة وعبادة ونظاماً.

ولذا قرر الإسلام الضوابط التي تشكل في مجموعها منهجا متكاملا لاستقرار المجتمع، منها الضابط الذاتي في داخل النفس الإنسانية، والذي نصطلح عليه عنصر

التقوىالذي يتحقق إذا تمكنت تعاليم الشريعة من نفس الفرد بحيث تشكل ضابطا خلقيا يحاكم الإنسان نفسه بنفسه.

فإذا كان للنفس البشرية مجموعة متعددة من التجاذبات المتضادة - كما يقول النفسانيون وعلماء الاجتماع - ، فقد يحتاج الإنسان إلى قوة تمكنه من التحكم المراقب في رغباته وميوله، وتوجهها للصالح العام والخاص لكن من خلال قوة الدين والتدين الصادق وعبر تفعيل فضيلة التقوى وعناصرها في النفس، و هي: (حاسة المراقبة أو قوة البصيرة، والضمير المؤمن..). أو ما نصطلح على تسميته أيضا بالوازع الديني لدى الفرد، وهو القوة التي تدفع الإنسان للخير وتمنعه عن الانحراف و الشر- كما ذكرنا ذلك في التعريف اللغوي لكلمة الوازع - . فالتدين الصادق والسليم يوجِد في نفس الإنسان وازعاً دينياً يجعله مندفعاً للخير ممتنعاً عن الإفساد، متجاوزاً ضغط الرغبات والأهواء والأنانية و الشهوات .

<u>الوازع الديني أقوى أثراً من القانون</u>

وذلك لحاكمية الوازع الديني على تصرفات المجتمع على الرغم من سلطان العادة وقوة الرغبة. وحيث أن للدين دوره الفعال في إحياء معني المراقبة الحقيقية في الإنسان، كما له من التأثير النفسي والإيماني والأخلاقي ما يجعل سلطته محترمة عند من استقرت في وجدانه, بحيث يعلم أن هناك حسابا في موقف آخر يقرره قوله تعالي: "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفي بنا حاسبين" الأنبياء:47.

وهذا على خلاف سلطة القوانين الوضعية، فقد يتضاءل الاحترام لها, والخوف منها. لافتقادها لسلطة التربية الروحية التي يحدثها الدين الصحيح في كيان الإنسان المسلم, فأكثر المفاسد في واقعنا المعاصر قد نتجت إما عن التحايل على القانون أو الالتفاف حوله . بل قد يستغل ضعيف الدين قوانين البلاد نفسها من خلال ثغراتها، أو لضعف تأثيرها، أو لغياب رقابة السلطة، فيقدم على الفساد والإفساد.

لكن ما يستثنى من هذه الضوابط ويتحقق به الضبط الذاتي للفرد هو الردع الديني أو الوازع الديني لديه مع إيمانه بوجود الرقيب الإلهي الذي لا يغفل ولا ينام، لقول الله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (قّ:**18**) و في آية أخرى: "يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ". التغابن:**4**

وعليه نعتبر الدين أهم وأقوى وسيلة من وسائل الضبط للذات البشرية وروحها، من خلال ما يقوم به من وظائف في حياة الفرد والمجتمع . فالدين يضبط سلوك الأفراد في المجتمع بالثواب والعقاب لا في الحياة الدنيا فحسب بل في الدار الآخرة أيضاً. وجزاءُه مؤجّلٌ لما بعد الموت، بخلاف القانون الوضعي فعقوبته معجلة إن ظُفر بالمفسدين طبعا، وإلا فلا عقوبة عليهم إن أفلتوا من قبضته إما بالتحايل، أو لقوة النفوذ. ولذلك يكون الضابط الديني هو أحد أشكال الكبح الفعال الذي يحقق الأثر في ردع النفس البشرية في الدنيا عن اقتراف الفساد واللجوء إليه. وكل ذلك لما يتميز به الردع الديني من خصائص فريدة عن تلك الضوابط التي توجد في بعض الشرائع أو القوانين الوضعية، فالتشريع الإسلامي يستمد سلطته من الله سبحانه وتعالى، ويعتمد في وقعه على وازع الضمير في النفس الإنسانية فيكون على يقظة في جميع الأوقات بأنه مراقب إلهياً في السر والعلن فيَصِلَ إلى درجة الإحسان المعبر عنها في الحديث النبويّ "... أن تعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". ..وهذا ما ينبغي الوقوف عليه، وهو قوة وأثر هذا الشكل من أشكال الضبط، ودوام صلوحيته ومفعوله.

ولذا يكون لزاماً أن يمنح المجتمع ككل هذا الشكل حقه من البحث والاهتمام، ولعل ما تعيشه الأمة في هذا العصر يزيد من حجم الاهتمام بهذا اللون من ألوان الضبط الاجتماعي.

وبذلك يضل وازع الدين سلطانا أعلى لقدرته على الهيمنة على نفس المسلم دون مقاومة. ولأنه: - كما يقول الماوردي في أدب الدنيا والدين 136 " يصير قاهرا للسرائر زاجرا للضمائر رقيبا على النفوس في خلوتها، نصوحا لها في مُلماتها. وهذه أمور لا يُوصل بغير الدين إليها". بحيث جعل العلاقات بين أفراد المجتمع تقوم على دعائم من الصدق والأمانة والإخلاص والتعاون والعدل والتواصي بالبر والإحسان والتكافل.

<u>الاستخلاص</u>

أن الشريعة في الإسلام شريعة وقائية من الفساد والإفساد. وتتمثل في غرس الوازع الديني في النفوس بالتربية الروحية . كما هي صراط نحو علاج الظاهرة على المدى القريب والمتوسط والبعيد يتمثل في الردع من خلال الوعد والوعيد بالعقوبة الأخروية المؤجلة من دون فكاك .

- كما يتضح مما طرحنا أن ضعف الوازع الديني لدى الفرد عامل مؤثر في تنامي ظاهرة الفساد المالي والإداري، وانه لا مندوحة من أن قوة الوازع الديني لدى الفرد تساهم بفعالية شديدة في الحد من تلك الظاهرة في البلاد، و يحقق للمجتمع الضبط بين أفراده من خلال تلكم القوة الروحية الخفية التي بين جنبات الفرد المسلم المسيطرة على أهوائه وغرائزه. وبذلك يتحقق الأمن في الأمة من الفساد والإفساد.

الأمر الذي يقضي بأن تتجه الجهات المسؤولة عن أمن الأمة في البلاد إلى تنمية هذا اللون من ألوان الضبط ألا وهو الوازع الديني لدى الأفراد حيث – وهذا مما لا ريب فيه – أن للوازع الديني قوته في ضبط النفس عن الفساد.